أســـرار الأمانة

محمد سعد زغلول سالم

الخميس ١٧ أبريل ١٩٦٩

إننى كثيراً ما أفكر وأتأمل وأتمعَّنُ فى حقيقة المصير وأخوضُ فى ظلمات الغيب التى تلُّف حياة الإنسان منذ مبْدئها وحتى منتهاها بحواس غريبة أستشعرها داخلى لا أعرف وصفا لها لأننى لا أعرف كنهَها أو مصدرها.. أفعلُ ذلك وأُقْدِم عليه مُحْتَمِياً خلفَ رجائى فى رحمة الله ومغفرته ومدفوعا بإرادة قاهِرَة أُحِسُّ كثيرا أنها إرادة الشيطان اللعين القابِع داخلى مُتَرَقِباً أن يَزِلَّ عقلى وأن تهْوِى روحى إلى حيث يتمنى ولكن هيهات له ذلك ، حقا أننى أريد أن أعرف ولكن .!. ماذا أريد أن أعرف .؟. وبِمَ ستفيدنى هذه المعرفة .؟. وحتى إذا هَدانى الله إليها وكشفَها لبصيرتى هل سيقدر عقلى على فهمها .؟. وهل ستُدْرِكها نفسى .؟. وهل تتحمل روحى إستجلاءَ غوامِضها وهَتْك أسرارِها ورؤية معانيها ؟!.. يالله .!. كم أتوقُ إلى رؤية الحقيقة .!. نعم كم أتوق وأتلهف لرؤية الحقيقة بعد أن عرفتها وأحْسَسْتُ بها .!.، إنَّ عقلى وخيالى لا يَكُفّان عن التفكير والتأمُّل فى هذه الغيبيات منذ بدأ وعْيى بالوجود وإدراكى للحياة منذ بضع سنوات ومازالا يُلِّحان فى طلب المزيد، وبرغم معرفتى للحقيقة ويقينى من أنَّ ما أتوقُ إليه لا سبيلَ إليه لأنه عَيْنَ المستحيل فإننى أعتقد أننا كنا مُدْرِكين لهذه الحقيقة فى البداية بأرواحنا التى نفخها الله فينا من روحه ، فمادامت أرواحُنا من روح الله فلابد أننا كنا نعرف حقيقة كلِّ ما هو غَيْب بالنسبة لنا الآن.. إننى أعرفُ أنَّ الأمانة التى حَمَلْناها أو حُمِّلناها فى عالم الغيب ليست غيرَ الإهتداء إلى الحقيقة التى جئنا منها ، ولمعرفة الله بعجز العقل عن تحقيق ذلك أو تحَمُّل نتائجه فقد نفخ فينا من روحه لتهدى العقلَ وتُعينَه على تحَمُّل عبء الأمانة والإلتزام بها ، نعم .. أؤمن وأعرف وأعتقد يقينا أنَّ الروحَ هى التى تهْدى العقلَ صَوْبَ الحق فى هذه الحياة ونحوَ الحقيقة فى هذا الوجود لأنَّ العقلَ أعجزَ مِن أن يستطيع ذلك، فالعقلُ يستطيع الإهتداءَ إلى حقائق الماديات فقط ويُمكنه التحَكُّم فيها والسيطرة عليها لأنها خُلِقَتْ من نفس ما خُلِقَ مِنه كما أنها خُلِقَت لذلك أما الحقيقة فإنَّ الروح فقط هى التى تستطيع معرفتها وإدراكها لأنها جاءت منها وستعود إليها، فالعقلُ قاصِر عن إدراك رموز الحقيقة وحقائق الوجود ومعانى الحياة مثل الله والوجود والمشيئة والقدرة والعلم والغيْب والزمن والأزل والأبد والخلود والعدم .. حقاً قد يستطيع تصوُّرَها ولكنه لا يستطيع إدراكَها ومعرفتها لأنها كانت سابقة لخَلْقِه ولأنَّ معْطياتها ليست مُعطيات مادية أو جدلية كباقى الحقائق والمعانى التى يستطيع العقلُ فهمَها والتعامل معها، ولذا وخلافاً لكلِّ شىء فإننى أعتقدُ يقيناً أنَّ العقلَ البشَرى لا يستطيع هداية الإنسان إلى الإيمان بالله أو الإقتناع بحقائق هذا الإيمان كما أعتقدُ يقيناً أنَّ العقلَ لا يستطيع الإقتناع أو الإقناع بوجود الله أو بقدرته على كلِّ شىء .. الروح فقط هى التى تدرك ذلك وتستطيعه أما العقل فلا يستطيع ذلك، العقل يمكنه التسليم بذلك الإيمان وتلك الحقائق إذا أرادَ اللهُ له ذلك ولكنه لا يستطيع إدراكَها أو الإقتناع بها. فتساؤل عن أصل الله أو عن كيفية عِلمه الشامل بكلِّ مخلوقاته أو عن قدرته على كلِّ شىء وكذا العديد من التساؤلات المُماثِلة هى من قبيل المُحال

الذى لا يستطيع العقلُ أن يدركه أو يَعِيَهُ لأنَّ الله لم يخلقه أو يُهَيِّئه لذلك،. فقد خلقَ الله الإنسانَ وسوَّاه جسدا وعقلا ثم نفخ فيه من روحِه لهدايته للإيمان، وهذه الرحلة نحو الإيمان أو العودة إلى الله هى مِحْوَرُ الأمانة التى حملتها عقولنا ظلماً وجهلاً رغم عجْزها عن ذلك، ولولا تدارُك الله لنا برحمته السابقة لعَدله وبروحه التى منحَنا إيَّاها لهدايتنا نَحْوَه لكانَ الجحيمُ هو المصيرُ المحتوم لكلِّ البشر. ورغم ذلك لا يكف هذا العقل العاجز القاصِر عن التفكير فيما هو مُحال بالنسبة له وعن التساؤل عن الغيْبيات التى لا ولن يستطيع إدراكها لأنه لم يشهَدها .. ولا عن محاولة معرفة الحقائق التى لا يمكنه أن يَعِيَها لأنه لم يُخْلَق لذلك، وكم من البشر ضلُّوا طريقهم إلى الله لأنهم لم يدركوا هذا ولم يستطيعوا الصمودَ أمامَ رهبة هذه التساؤلات ولم يستطيعوا إحتمالَ وَقْعِها المُخيف على نفوسهم ووطأتها المُرَّوِّعَة على عقولهم. فيا لله .!. كم هىَ شاقَّة ومُرَّوِّعَة تلك الأمانة التى حَمَلْناها أو حُمِّلناها فى عالم الغيب !.

